

# جمهرة اللغة لابن دريد

## أَوَّلُ مُعْجَمٍ مُتَّكَمِلٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

يُعَدُّ كِتَابُ الْجُمَهْرَةِ لِابْنِ دُرَيْدٍ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمَهْمَةِ فِي اللُّغَةِ، فَهُوَ أَوَّلُ مُعْجَمٍ مُتَّكَمِلٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَقَدْ وَضَعَهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدِ الْأَزْدِيُّ، الْمَوْلُودُ فِي مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ سَنَةَ 223 هـ / 838 م فِي خِلَافَةِ الْمُعْتَصِمِ.

وَقَدْ رَتَّبَ ابْنُ دُرَيْدٍ مُعْجَمَهُ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَلْفَبَائِيِّ بِأَوَّلِ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ. وَلَكِنَّ الشَّيْءَ الْمَهْمَ فِي الْجُمَهْرَةِ أَنَّ مُعْظَمَ الْمُعْجَمِيِّينَ اللَّاحِقِينَ اعْتَمَدُوا عَلَيْهِ، وَمِنْ أَشْهَرِهِمُ الْقَالِي فِي مُعْجَمِهِ «الْبَارِعُ» وَأَيْضًا ابْنُ سَيْدِهِ فِي كِتَابِهِ «الْمَخْصَصُ»، فَالْكِتَابُ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ اللُّغَوِيِّينَ بَعْدَ وَفَاةِ ابْنِ دُرَيْدٍ، وَاعْتَمَدَتْ أَكْثَرُ الْمَصَادِرِ عَلَى أَقْوَالِهِ فِي «الْجُمَهْرَةِ».

يَبْدَأُ الْمُعْجَمُ بِمُقَدِّمَةٍ طَوِيلَةٍ أَشَارَ فِيهَا إِلَى هَدَفِهِ، وَأَشَادَ فِيهَا أَيْضًا بِالْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ صَاحِبِ مُعْجَمِ «الْعَيْنِ» وَبِمُعْجَمِهِ، فَيَقُولُ: «وَلَمْ أَجْرِ فِي إِنْشَاءِ هَذَا الْكِتَابِ إِلَى الْإِزْرَاءِ بِعُلَمَائِنَا وَلَا الطَّعْنِ عَلَى أَسْلَافِنَا،

وَأَتَى يُكُونُ ذَلِكَ؟ وَإِنَّمَا عَلَى مِثَالِهِمْ نَحْتَدِي وَبَسْبِيلِهِمْ نَفْتَدِي، وَعَلَى مَا أَصَلُّوا نَبْنِي. وَقَدْ أَلَّفَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - كِتَابَ «الْعَيْنِ»، فَاتَّعَبَ مَنْ تَصَدَّى لِعَايَتِهِ، وَعَنَى مَنْ سَمَا إِلَى نِهَائِهِ، فَالْمُنْصِفُ لَهُ بِالْغَلْبِ مُعْتَرَفٌ، وَالْمَعَانِدُ مُتْكَلِّفٌ، وَكُلُّ مَنْ بَعْدَهُ لَهُ تَبَعٌ أَقْرَبُ بِذَلِكَ أَمْ جَحَدًا».

هَذَا النَّصُّ وَغَيْرُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابْنَ دُرَيْدٍ فِي هَدَفِهِ كَانَ عَمَلِيًّا يَأْخُذُ بِالْأَلْفَاظِ الشَّائِعَةِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، أَمَا الْوَحْشِيُّ الْغَرِيبُ، فَقَدْ ذَكَرَ جُزْءًا مِنْهُ وَفَصَّلَهُ فِي الْكِتَابِ وَأَلْحَقَهُ بِآخِرِهِ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِكُلِّ الْوَحْشِيِّ وَالْغَرِيبِ فَقَامَ بِحَدْفِ بَعْضِهِ كَمَا بَيَّنَّ فِي كِتَابِهِ.

وَقَدْ اتَّبَعَ ابْنُ دُرَيْدٍ مِنْهَجًا فِي «الْجُمَهْرَةِ»، فَسَارَ فِي طَرِيقَتَيْنِ تَمَثَّلَانِ فِي تَرْتِيبِهِ لِلْمُفْرَدَاتِ بِطَرِيقَةِ التَّرْتِيبِ الْأَلْفَبَائِيِّ لَا التَّرْتِيبِ الصَّوْتِيِّ، وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَخْتَلِفُ «الْجُمَهْرَةُ» عَنِ «الْعَيْنِ» الَّذِي سَارَ وَفَقَ التَّرْتِيبِ الصَّوْتِيِّ،

فَيَقُولُ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي الْمُقَدِّمَةِ: «وَأَجْرَيْنَاهُ عَلَى تَأْلِيفِ الْحُرُوفِ الْمُعْجَمَةِ إِذْ كَانَتْ بِالْقُلُوبِ أَعْبَقَ، وَفِي الْأَسْمَاعِ أَنْفَذَ، وَكَانَ عِلْمُ الْعَامَّةِ لَهَا كَعِلْمِ الْخَاصَّةِ، وَطَالِبَيْهَا مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ بَعِيدًا مِنَ الْحَيَرَةِ مُشْفِيًا عَلَى الْمَرَادِ».

وَفِي هَذَا التَّرْتِيبِ فَقَدْ خَالَفَ ابْنُ دُرَيْدٍ الْخَلِيلَ، وَكَانَ هَذَا نَقْدًا مُهَذَّبًا لِطَرِيقَةِ الْخَلِيلِ، فَهِيَ طَرِيقَةٌ مُتَعَبَةٌ لَا يَتِمُّ بِهَا الْإِهْتِدَاءُ إِلَى مَظَانِّ الْأَلْفَاظِ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ، فَابْنُ دُرَيْدٍ أَهْمَلَ التَّرْتِيبَ الصَّوْتِيَّ وَاعْتَمَدَ تَقْلِيدَ الْمَادَّةِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي «الْإِسْتِثْقَاكِ الْكَبِيرِ».

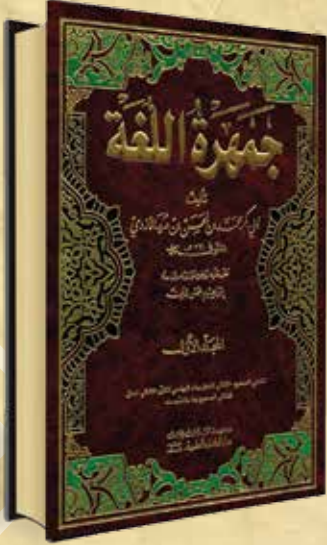
وَيَرَى ابْنُ دُرَيْدٍ أَنَّ الْخَلِيلَ قَدْ اخْتَطَّ نَهْجًا عَامًّا فِي تَأْلِيفِ

الْمَعَاجِمِ؛ فَقَدْ حَدَدَّ مَعَالِمَ الْمُعْجَمِ مِنْ حَيْثُ اسْتِيعَابُهُ لِمُفْرَدَاتِ اللُّغَةِ، فَالْخَلِيلُ هُوَ الْمُبْدِعُ الْأَوَّلُ، أَيُّ هُوَ الْأَصْلُ، أَمَا غَيْرُهُ فَهَيْمُ الْفَرْعِ. عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَهَدَفَ ابْنُ دُرَيْدٍ هَدَفَ جَلِيلٌ، فَهُوَ يُرِيدُ التَّسْهِيلَ عَلَى الْقُرَّاءِ فِي مَعْرِفَةِ مَعَانِي مُفْرَدَاتِ اللُّغَةِ دُونَ عَنَاءٍ وَمَشَقَّةٍ. وَمَعَ سَيْرِهِ عَلَى هَذَا النَّهْجِ، فَإِنَّا نَلَاظُ أَنَّهُ

فِي مُقَدِّمَةِ هَذَا الْمُعْجَمِ يُقَدِّمُ لَنَا دِرَاسَةً غَنِيَّةً فِي عِلْمِ الْأَصْوَاتِ، فَتَرَاهُ يُخَوِّضُ فِي وَصْفِ مَخَارِجِ الْأَصْوَاتِ وَصِفَاتِهَا وَاتِّتِلَافِهَا، وَمَا يَحْسُنُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا يَقْبُحُ فِي الْأَنْبِيَةِ الْمُخْتَلَفَةِ، وَالْإِدْغَامِ وَالْإِنْدَالِ، وَالْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ وَالزَّائِدَةِ.

وَإِذَا عُدْنَا إِلَى مُقَدِّمَةِ الْجُمَهْرَةِ رَأَيْنَاهُ يُصَدِّرُ مُعْجَمَهُ بِدِرَاسَةٍ لِلْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَا تَتَفَرَّدُ بِهِ، فَيَقُولُ: «اعْلَمْ أَنَّ الْحُرُوفَ الَّتِي اسْتَعْمَلَتْهَا الْعَرَبُ فِي كَلَامِهَا فِي الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَصْوَاتِ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا مَرْجِعُهُنَّ إِلَى ثَمَانِيَّةٍ وَعِشْرِينَ حَرْفًا، مِنْهَا حَرْفَانِ مُخْتَصَّصٌ بِهِمَا الْعَرَبُ دُونَ الْخَلْقِ، وَهُمَا الظَّاءُ وَالْحَاءُ، وَزَعَمَ آخِرُونَ أَنَّ الْحَاءَ فِي

السَّرْيَانِيَّةِ وَالْعِبْرَانِيَّةِ وَالْحَبَشِيَّةِ كَثِيرَةٌ، وَأَنَّ الظَّاءَ وَحْدَهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الْعَرَبِ، وَمِنْهَا سِتَّةٌ أَحْرَفٌ لِلْعَرَبِ وَلِقَلِيلٌ مِنَ الْعَجَمِ، وَهُنَّ: الْعَيْنُ وَالصَّادُ وَالضَّادُ وَالْقَافُ وَالطَّاءُ وَالشَّاءُ، وَالبَاقِي فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، إِلَّا الْهَمْزَةَ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ كَلَامِ الْعَجَمِ إِلَّا فِي الْإِبْتِدَاءِ».



## ابن دريد وضع منهجًا للجمهرة للتسهيل على القراء